

بحوث فقهية مهمّة

[252] فمن الأول قوله تعالى في سورة نوح : (وَلَا يُؤْمِدْ دُكُّكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ وَلَا بَنِينَ) (1) فقد كان البنون كالأموال سبباً للقوّة، وقوله تعالى : (وَلَا أَمْوَالُكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ وَلَا بَنِينَ وَلَا جَعَلْنَا دُكَّكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) (2)، وقوله تعالى : (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوسَةً وَلَا أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَلَا أَوْلَادًا) (3). ومن الثاني قوله تعالى : (وَلَا تَحْنُوا زُرُوعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْلِهِمْ أَغْفَى) (4). فقد كانت كثرة الأولاد مثل كثرة الأموال سبباً للقوّة والشوكة والعظمة، فلو تغيّر هذا الموضوع في زمان وصارت الكثرة سبباً لمزيد الضعف والتأخّر والذّلة والحقارة - كما يحكى ذلك كثيراً عن أهل الهند، حيث بلغت كثرة النفوس فيها إلى حدّ سبّب في موت الكثير منهم من شدّة الجوع، وكذلك مسألة السكن حتّى قيل إنّ أعداداً هائلة من الناس يتخذون من أطراف الشوارع والممرّات مساكن لهم فيها يتكاثرون وفيها يموتون، وليس لهم من أسباب الحياة شيء - فهل تكون كثرة النسل راجحة في نظر الشرع ؟ ! لا أقول : إنّ كثرة المسلمين قد وصلت إلى هذا الحدّ أو لا، بل أقول : لو ادّعى الأمر إلى هذا الحدّ فهل هو شيء يباهي به رسول الله (صلى الله عليه وآله) سائر الأمم ؟ ! أو إنّ اللازم على المسلمين في هذه الأعصار الاهتمام بالكثرة من ناحية الكيفية - أعني الزيادة في العلم والقوّة الفكرية والثقافية والصناعية والأخلاقية - لا الكثرة في كمية الأفراد الفاقدة لذلك؛ فإنّ كثرتهم والحال هذه كثيراً ما تمنع عن بلوغ المرتبة المطلوبة، وسيأتي بيان _____ (1) نوح : 12. (2) الإسراء : 6. (3) التوبة : 69. (4) سبأ : 35.